الدين والعربية

اعداد

أ.م.د.رباب حسين منير

تفرد القران الكريم بين الكتب السماوية بخاتمة رسالته إلى عباده ، وكانت إرادة الله تعالى أن تكون العربية لغة كتابه و لسان وحيه: قال تعالى: "إنا أنزلناه قران عربيا" (يوسف٢)وقال تعالى "وانه لتنزيل رب العالمين*نزل به الروح الأمين*على قلبك لتكون من المنذرين*بلسان عربي مبين"(الشعراء١٩٢-١٩٥)

وقد ذكر لفظ عربي احد عشر مرة في القران الكريم صفه له و للسانه،و اللسان بمعنى اللغة و ارتباط العربية بالقران كونها لغته و وسيله إعجازه يؤكد ضرورة معرفة هذه اللغة و علومها و هو شرط لابد من توفره في المختصين بعلوم القران و الشريعة فضلا عن اطلاعهم على من العلوم ذات الصلة بالقران الكريم.و بين النبي محمد (صلى الله عليه واله و سلم)هذا،فلما سأله رجل"أي علم القران أفضل؟" قال النبي(صلى الله عليه واله وسلم) :"عربتيه ،فالتمسوها في الشعر"

وحدد القران موقفه من الشعر بجعلهم قسمين، قال تعالى:"و الشعراء يتبعهم الغاوون*الم ترَ أنهم في كل واد يهيمون*وإنهم يقولون ما لا يفعلون*إلا الذين امنوا و عملوا الصالحات و ذكروا الله كثيرا و انتصروا من بعد ما ظلموا"(الشعراء٢٢٤-٢٢٧) و أكد الرسول الكريم هذا الموقف و قال:"إن من الشعر حكمة" (البخاري رقم ١٦٤٥) وحين سئل عن الشعر قال (صلى الله عليه واله وسلم):"هو كلام فحسنه حسن،و قبيحه قبح"(مسند أبو يعلي رقم ٤٧٦٠)[١] ونقل عنه قوله: "إنما الشعر كلام مؤلف، فما وافق الحق منه فهو حسن،وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه"[٢] فلم يكن موقف الإسلام ضد الشعر عموما، بل محاولة

١- انظر مقالات في العربية ، مازن مبارك/ ١٢-١٨

٢- العمدة ، ابن رشيق /٢٧

لـدفع صـفه الشـاعر عـن الرسـول التـي الصـقها المشـركون فيـه لنفـي صـفه الألوهـة عـن القـران الكريم،فكـان الشـعر سـلاحا فـي المعركـة اسـتعملها الطرفـان كلاهمـا، تبقـى لـه أهميته في فهم العربية فهو ديوانها[١] .

وتـابع الخلفـاء الراشـدون تأكيـد أهميـة معرفـة العربيـة ، فمعظـم الروايـات تؤكـد أن الإمـام علي(عليـه السـلام) واضـع علـم النحـو الـذي أخـذه عنـه أبـو الأسـود الـدؤلي ، وقـد وضـع ليمنـع اللحـن فـي القـران اثـر دخـول أقـوام مـن غيـر العـرب فـي الـدين الإسـلامي؛ إذ كـان العربـي يقـرا علـى السـليقة ولا وجـود لعلامـات الإعـراب فاعتمـدت نقـاط الإعـراب التـي كانـت تكتـب بلـون مخـالف لنقـاط الاعجـام قبـل أن يضـع الفراهيـدي الحركـات بشـكلها الحـالي والتـي وضـعت لتلافـي الخطـأ فـي القـراءة فضـلا عـن دوافـع اجتماعيـة و قوميـة[٢]، وتـابع الخليفـة عمـر بـن الخطـاب تأكيـد أهميـة العربية فحث على تعلم نحوها يقول : " تعلموا إعراب القران كما تتعلمون حفظه"[٣]

١- قضية الإسلام و الشعر ، إدريس الناقوري/ صفحات متفرقة

٢-انظر: المدارس النحوية، خديجة الحديثي/ ٥١-٦٥

٣-انظر مقالات في العربية/ ١٩-٢٢

فلعلم النحو الذي يسمى علم الإعراب أيضا أهمية في تحديد الدلالات، بل إن نشوءه كان لتلافي الخطأ في القراءة القرآنية – كما ذكرنا– فمن الخطأ أن تقرأ لفظ الجلالة "الله" بالرفع في قوله تعالى: " إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء "(فاطر/٢٨) ومن الخطأ قراءة رسوله بالجر في قوله تعالى " إن الله بريء من المشركين و رسولِه" (التوبة/٣) ، ومن علوم العربية التي لها أثرها في فهم النصوص وإيضاح دلالاتها علم الإيقاع والصوت ، و علم الصرف فضلا عن علم البلاغة.

و يهتم **علم الصوت** بالحروف وتشكلها وما ينجم عنها من إيقاع و تعد اللغة العربية لغة إيقاعية بطبيعتها " ومن ميزات اللغة العربية دلالة الجرس والإيقاع فيها على المعنى."[١] لذا فرق علماء اللغة بين دلالات الألفاظ من خلال إيقاعها مثل "تفريق ابن جني

١– فقه اللغة العربية ، د.كاصد ياسر/١٣٥

بين القد والقط، وكيف أن الأول موضوع لقطع الشيء طولا ،والثاني لقطعه عرضا وذلك لما في الدال من الطول في الجرس عند انقطاعها يزيد على جرس الطاء عند انقطاعها"[١]وقد تجلت هذه الخاصية بشكل واضح في القران الكريم "فهو يتخير الألفاظ تخيرا يقوم على أساس من تحقيق الموسيقى المتسقة مع جو الآية وجو السياق كله، بل وجو السورة جميعها في كثير من الأحيان، وبخاصة تلك السور القصار التي حفل بها العهد المكي.. فالقران مثلا يستعمل الألفاظ ذات الجرس الموسيقي الناعم و السلس في المواضع التي يشيع فيها جو من الحياة الهانئة الجميلة،فالصبح حين ينشر ضوءه في الآفاق ويبث الحياة في الطبيعة الهامدة الساكنة وفي الإنسان يتخيرله القران هذه اللفظة...(تنفس) فجرس هذه اللفظة الهامس ملائم لرقة الصبح ونداوته يتجلى في همس التاء والسين و ذلاقة النون و الفاء"[٢]*

١- فقه اللغة العربية /١٣٥ ٢- نفسه/ ١٣٧

*حروف الهمس عشرة جمعت في عبارة (فحثه شخص سكت) وهي التي يضعف الصوت بها عند جري النفس معها فلم يقو قوته في حروف الجهر . أما حروف الذلاقة فجمعت في (مر بنفل) فهي ستة سميت بهذا الاسم لخفتها على اللسان و سهولة جريانها (انظر : نفسه /الهامش)

ومنه قوله تعالى:" فأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين"(الشعراء/ ١٧٣ و النمل/٥٨) فمطر بجرسه الشديد وتكرارها ملائم لمشهد العذاب الذي نزل بأولئك الكافرون المعاندين وعلى الرغم من ان غيث تعني الماء النازل من السماء أيضا إلا أننا لا نجد لها حضورا في سور العذاب بسبب طبيعتها الإيقاعية المتاتية من حروفها فكانت حاضرة في مقام الخصب والرخاء والخير كقوله تعالى"وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا و ينشر رحمته و هو الولي الحميد"(الشورى/٢٨) فهي تبث رخاءً موسيقيا يتفق والرخاء الطبيعي المتمثل بالماء النازل من السماء وانتشار رحمة الله[٤] فالأصوات تمنح النص دلالات جديدة يحددها السياق

٤-انظر نفسه/١٣٨

أمـا **علــم الصــرف** فيهـتم بدراسـة بنيـة الكلمـة ومـا يطـرأ عليهـا مـن زيـادة أو نقصـان والـذي ينطبـع علـى المعنـى ، ففـي الاشـتقاق تجديـد للـدلالات فدلالـة ضـرب تختلـف عـن مضـروب وضـارب [١] ومنـه قولـه تعـالى" اخـذ عزيـز مقتـدر"(القمر/٤٢)فيـرى ابـن جنـي فـي مقتـدر شـدة الأخـذ[٢] وجـاء فـي القـران الكـريم" وسـقاهم ربهـم شـرابا طهورا"(الإنسـان/٢١)و " واسـتقيناكم مـاء فراتا"(المرسـلات/٢٧) فاستعمل سقى مرة واسقي مرة أخرى وتحمل الأولى معني أعطوا الشراب

١-انظر: دراسات في فقه اللغة ،د.صبحي صالح/١٧٤

٢-انظر: فقه اللغة ، كاصد ياسر /١٤٠

أمـــا الثانيـــة فتعنـــي جُعـــل لهـــم مـــا يســـتقون منـــه [١] ومـــن علـــوم العربيـــة التـــي تســـاهم فـــي إفهـــام الـــنص وكشـــف دلالاتـــه علـــم البلاغـــة الـــذي ســـندرس بعـــض فنونه في مكونات النص الأدبي الفنية

إن أهميـــة علـــوم العربيـــة تحـــتم علـــى كـــل مســـلم الاطـــلاع عليهـــا لفهـــم الـــنص القرآنـــي وعلـــى المختصـــين بـــه التعمـــق فـــي دراســـتها ؛إذ لـــيس المهـــم حفظـــه وترديـــده قـــدر أهميـــة فهمـــه و تـــدبر معانيـــه، قـــال تعـــالى: " أفـــلا يتـــدبرون القـــران ام علـــى قلـــوب أقفالهـــا"(محمد/٢٤) مـــن هنـــا نجـــد عبـــد القـــاهر الجرجـــاني يـــربط بـــين القـــران والشـــعر والنحـــو والبلاغـــة لفهـــم القـــران والإعجـــاز فـــي كتابـــه دلائـــل الإعجـــاز الـــذي وضـــع فيـــه نظريـــة الـــنظم ، وهـــو"أن تضـــع الكـــلام الوضـــع الـــذي يقتضـــيه علـــم النحـــو ونُعمـــل قوانينـــه وأصـــوله ، وتعـــرف مناهجـــه التـــي نهجـــت فـــلا تزيـــغ عنهـــا و بحفـــظ الرســـوم التـــي رُســـمت لـــك فـــلا تُخـــلَ بشيء منها"[٢] على حد تعبير الجرجاني

١- انظر : مقالات في العربية ، مازن مبارك/٢١٥-٢١٧

٢- انظر: دلائل الاعجاز/٥٥

وكـان الشـعر وسـيلة لفهـم الـنص القرآنـي أيضـا فمـن خلالـه تقـرب المعـاني لان الشـعر ومعانيـه تسـتوطن نفـوس العـرب؛ لـذا نجـد ابـن عبـاس وهـو مفسـر بـارز لـه مكانـة مرموقـة بـين المفسـرين دعـا لـه الرسـول(ص) بقولـه"اللهم فقـه فـي الـدين وعلمـه التأويـل" ، قـد اسـتعان بالشـعر فـي منهجـه فـي التفسـير فـي كتابـه تنـوير المقبـاس ، وهـو أقـدم مـا وصـل إلينـا مـن كتـب التفسـير الـذي كثـر فيـه الاستشـهاد بالشـعر لبيـان معنـى أو تثبيـت دلالـة ، وقـد تـوهم الـبعض خطـا هـذا المـنهج إلا انـه رأي مـردود بـامتلاء كتـب التفسـير القديمـة بالشـعر، كمـا أن الإسـلام لـم يقـف ضـد الشـعر الـذي يعد ديوان الأمة العربية كما ذكرنا سابق.